قياس الراي العام : نشأته وتطوره ، مشكلاته ، وتقسيماته الرئيسية

مقدمة:

يساعد قياس الرأى العام فى معرفة الواقع الفعلى بحجمه الطبيعى ، حيث يمكن معرفة المعلومات والآراء والاتجاهات السائدة واحتياجات الرأى العام ورغباته، كما يوفر ذخيرة حية من المعلومات عن الرأى العام ومقوماته واتجاهاته تساعد على اتخاذ القرار المناسب فى ضوء الحقائق المتوافرة ، وتوجيه الرأى العام توجيهاً سليماً وإمداده بما يحتاج إليه من معلومات وآراء واتجاهات تساعد فى دفع عملية التنمية.

1- نشأة قياس الرأى العام وتطوره :

1-1 الاستماع لآراء الناس وأحوالهم:

لجأ الحكام فى المجتمعات العربية فى الماضى والحاضر إلى طرق بسيطة للتعرف على آراء الناس وأحوالهم، منها خروج الحاكم مستتراً ليسمع بنفسه رأى الناس ، وإطلاق بعض المقربين للتعرف على أحوال الناس وآرائهم . وتعتبر جولات السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان السنوية من أفضل الأمثلة التى تدل على حرص القائد على استطلاع رأى المواطنين فى كافة المجالات ، حيث يقوم السلطان قابوس بجولة سنوية مدتها شهر يصحب خلالها معظم أعضاء مجلس الوزراء وكبار المستشارين، ويقيم ما يشبه المعسكر فى كل منطقة يحل بها، ويطلب من وزرائه التجوال بين أهالى الولايات، وجمع مطالبهم، ويلتقى مع شيوخ وأعيان

ورشداء القبائل – باعتبارهم قادة الرأى الطبيعيين – ويتناقش معهم فى جلسة عائلية بسيطة ، ينقل وقائعها إذاعة وتليفزيون عُمان حول المستحدثات فى 136الرأى العام العالم وفى السلطنة، ويبسّط بعض المفاهيم السياسية – كالعولمة – والاقتصادية والاجتماعية ..وفى هذه الجولات يتناقش مع قادة الرأى الطبيعيين فى الكثيرمن الأمور الحيوية مثل :حث المواطنين على التعاون مع القائمين بأول تعداد عام للسكان والإسكان، وحث المواطنين على الأخذ بأسلوب المباعدة بين الولادات كأسلوب للتخطيط العائلى، والدعوة إلى التعمين، وانخراط الشباب فى العمل المهنى والإقبال على التوظف فى القطاع الخاص، وحث القطاع الخاص على المشاركة فى التنمية وإنشاء الجامعات الخاصة، وتشجيع دخول المرأة فى العمل السياسى:انتخاباً وترشيحاً...إلخ ، فيما يشبه البرلمان المفتوح.

1-2 استطلاع الراي العام:

تحتل عملية قياس الرأى العام أهمية متزايدة فى العصر الحديث:حيث تعتبر خطوة أساسية فى العملية الديمقراطية، ولقد انتقلت عدوى استطلاع الرأى العام فى بعض البلدان – كالولايات المتحدة الأمريكية – من سوق
1لسلع والتجارة إلى سوق السياسة والحكم.

3-1 الاقتراع الأولى:

وتعود بدايات الاهتمام بقياس الرأى العام إلى حوالى عام 1824 حينماحاولت بعض الصحف – وغيرها من المؤسسات التى تهتم بالتجارة والتسويق استطلاع الرأى العام عن طريق عمل استفتاءات فيما كان يسمى بالاقتراع الأولى، ولكن هذه الطرق كان ينقصها الدقة والتمثيل الصحيح لفئات الرأى العام، وبالتالى كانت لا تدعو إلى الثقة فيها وإمكانية تعميمها على المجتمع، بل أدى الأسلوب الذى اتبعته مجلة(الخلاصات الأدبية)إلى إفلاسها ، حيث اعتمدت على عينات مأخوذة من قوائم أصحاب السيارات ودفاتر التليفونات، وهى – كما هو واضح – ينات غير ممثلة للمجتمع ، متحيزة لذوى الدخول العالية نسبياً.

4-1 الانتقال من مرحلة التكهن الى مرحلة العلم:

الانتقال من مرحلة التكهن إلى مرحلة العلم فى مجال قياس الرأى العام:مع محاولة الحصول على عينات ممثلة للمجتمعات وقد بدأت هذه المرحلة بالعينة الحصصية لما تتميز به من قلة النفقات وسرعة الإنجاز، واتبع طرق المعاينة جالوب – الذى أنشأ معهد جالوب للرأى العام عام P 1935 ور P الصحيحة كل من –وغيره من المهتمن بقياسات الرأى العام مثل :روبر كروزلى، وكانتريل، ونجحت عملية قياس الرأى العام نجاحاً كبيراً فى التنبؤ بنتائج انتخابات الرئاسة فى الولايات المتحدة الأمريكية عامى 1940 و 1944 وأدى فرط الثقة إلى نوع من
الغرور جعل هذه المراكز تتنبأ فى وقت مبكر بفوز ديوى بالرئاسة على منافسة ترومان عام 1948 ، وفشلت هذه التنبؤات فشلاً ذريعاً، وتعرضت عملية قياس الرأى العام على أثر ذلك لهجوم عنيف من معارضيها، ولكن سرعان ما عادت الثقة إليها مرة أخرى ، عندما تنبأ معهد جالوب عام 1960 بنتائج الانتخابات بين كيندى ونيكسون تنبؤاً صحيحاً ودقيقاً..
وشهد عقد الستينيات من القرن الماضى انطلاقاً حقيقياً فى مجال استطلاعات الرأى العام ، تمثل فى امتداد هذا النشاط العلمى إلى دول الاتحاد السوفيتى السابق ، وإلى العديد من دول أوربا

الشرقية ؛ حيث أنشئت هيئات لمية ومراكز لبحوث الرأى العام ، وبدأت عملها باستطلاعات تتناول وسائل الإعلام واستمرت فى خطواتها – التى تعثرت أحيانا وتوقفت تماما أحيانا أخرى

–حتى توجت بإجراء استطلاعات للرأى العام منذ أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات تتناول أهم القضايا السياسية وأشدها حساسية.

ولعل مرحلة النضج التى بدأت منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضى تبدأ بتناول استطلاعات الرأى العام وقياساته برؤية شاملة متكاملة من خلال التركيز وليس مجرد الاكتفاء برصد موقف Z بالعملية X على الجانب الديناميكى الخاص الرأى العام فى اللحظة الآنية ومن أمثلتها :مشروع المسح الاجتماعى العام وكما)EBS(والبارومتر الأوربى)ISSP(والمسح الاجتماعى الدولى)GSS(تحدد ناهد صالح – بدقة متناهية – سيطرت على ساحة العمل العلمى فى مجال الرأى العام على مدى نصف قرن من الزمان ثلاث قضايا أساسية هى :الديموقراطية 138الرأى العام ، المنهج والنظرية، وقضية الأخلاقيات الحاكمة للعمل فى مجال استطلاعات وقياسات الرأى العام.